النص، أي إلى اعتباره هو بالذات ـ لا بالنظر إلى أجزائه فحسب ـ إديولوجياً.

هذا هو بالتحديد ما حاول «باختين» جاهداً إلغاء الكلام عنه في تصوره النقدي الروائي، في الوقت الذي أثبت فيه «غولدمان» هذا الجانب بالذات وأهمل قضايا التركيب الداخلي، ولهذا السبب نجد أن مفهوم الحوارية الباختيني يكمل مرحلة الفهم عند «غولدمان» ويضفي على البنيوية التكوينية طابعاً علمياً في التحليل إذا هي استفادت منه في ممارستها النقدية التي تتناول الرواية بشكل خاص.

إننا نلحظ استفادة النقاد السوسيولوجيين من الاتجاهين معاً، وذلك سعياً وراء تفادي أخطاء النقد الروائي الباختيني، ونظيره الغولدماني. وليس من قبيل الصدف أن نجد «ميشال زرافا، وبعده «بييرزيما» يزاوجان في أطروحاتهما النقدية بين الحوارية الباختينية والرؤية للعالم عند غولدمان، نلحظ ذلك بوضوح في كتاب «الرواية والمجتمع» عند الأول[85]، وفي كتاب: «الإزدواجية الروائية، بروست، كافكا موزيل» عند الثاني[86] فمن خلال هذين المؤلفين يتبلور اتجاه نقدي لا هو منحصر في نطاق البنيوية التكوينية ذات الطابع الجدلي، ولا هو مقتصر على الدراسة المحايثة التي تقترحها سوسيولوجيا النص عند «باختين»، إنه على الأصح اتجاه جديد يمكن تسميته بالنقد السوسيولوجي النصي الجدلي الذي ينتهي عادة بتأويل النص الروائي استناداً إلى معطيات الحقبة التي ينتمي إليها، بعد أن يكون قد عالج النص من الداخل اعتماداً على أدوات سوسيولوجيا النص، دون أن يتردد في الاستفادة من معطيات البنائية المعاصرة وما يرتبط بها من دراسات سيميائية تركز على الوسائل العلمية لتحليل الدلالة.

وسنتوسع في المبحث التالي في دراسة التطور الحاصل في المناهج السوسيولوجية ابتداءً من المنهج الجدلي، مروراً بالبنيوية التكوينية وبـ «باختين» لنصل إلى هذه المحاولات الجديدة التي طَوَّرَتْ فهم علاقة الرواية بالإديولوجيا وبالواقع، ووضعت أسس نقد سوسيولوجي جديد له اتصال مباشر بالأبحاث اللسانية والسيميائية المعاصرة.

---

(85) Michel Zéraffa: **Roman et société.** Presses universitaire-France, 1976.

(86) Pierre V. Zima: **L'ambivilance Romanesque.** Proust, Kafka Musil. **Le Sycomore,** 1980.